السلطنة الفنجية الإسلامية

فى سودان وادى النيل

بقلم الشاطر بصيلى عبد الجليل

لقد جاءت هذه السلطنة إلى حوض النيل الأزرق بالسودان ، حيث اتخذت لها عاصمة من بلدة سنار التى تقع على مسافة مائة وسبعين ميلا جنوب الخرطوم . واستمرت فى إدارة شئونها حتى العام الأول من العشرينات من القرن التاسع عشر . وقد كانت هذه البلدة مقراً لنائب السلطان الفنجى ويرجع اختيارها إلى موقعها على ملتقى طرق ملاحية ومحطة للقوافل التى تسير إلى الحبشة ، وساحل البحر الأحمر كما تمتد أسفارها إلى داخل السودان .

ومن الواضح أن هذه السلطنة كانت تبسط سيطرتها على منطقتى النيل الأزرق والبطانة من عاصمتها جنوب غرب الأرتيريا حيث كانت تمارس سلطاتها وكان السلطان يقوم برحلات شهرية إلى مختلف نواحى مملكته كما أشار إلى ذلك الرحالة داود روبينى[1] . ويبدو أن سبب انتقال هذه السلطة من مركزها الذى احتلته فى الأرتيريا منذ زمن طويل يرجع إلى حالة الحرب بين المسلمين والأحباش والتى نشبت

---

(1) Adler, Elkan, Jewish Travellers, Broadway, London 1931. See also Hillelson, S., David Reubini, An early Visitor to Sennar, Sudan Notes & Records Vol.XVI, p. 56—66.

لأسباب اقتصادية بحتة ، وقد انتقلت للعارك حتى اقتربت من الإقليم الذى تسيطر عليه السلطنة من الأرتيريا ، ولم يكن هناك بد من الإخلاء والهجرة نحو الغرب .

ومما يؤسف له أنه لم تصلنا وثائق تاريخية أو غيرها عن فترات حكم السلطنة تنطق قيامها وتطورها ، ربما تكون هناك أشجار الأنساب ، وهذه عمليات روتينية يقوم بها الفقهاء . وقد وصلت إلينا مخطوطة طبقات ود ضيف الله ، التى كتبت فى أوائل القرن التاسع عشر ، وجاءت بعدها مخطوطة كاتب الشونة أحمد بن الحاج أبو على ، الذى كان فى خدمة الحكومة الجديدة فى الخرطوم وجاءت بعد هـــذه المخطوطة مخطوطتان لا يعرف كاتبهما . وقد وجدت أكثر من نسخة من هذه المخطوطات تختلف الواحدة عن الأخرى بالإضافة والتعديل والتبديل وهذه المخطوطات قد تم وضعها فى زمن غير بعيد حيث جمعت فيها الروايات المتداولة . ويجد الباحث أن المعلومات التى جاءت فى هذه الوثائق تتناقص كلما بعدت فترة الزمن ونجد أن ذكر السلاطين الأوائل لا يزيد عن الإسم وتاريخ اعتلاء العرش والنزول عنه .

وعلى الرغم من كل هذه الجهود فإن مشكلات تاريخية وغيرها ، قد بقيت تطرح نفسها ، أمام الباحثين ؛ وتشمل هذه المشكلات أصول البيت السلطانى ، وتطور هذه السلطنة فى مراحل انتقالها ، كذلك عن تنظيمات الحكم والعـــلاقات بين السلطنة والمشيخات المتحدة معها كونفدراليا عن طريق زعامة العبد اللاب أيضاً ما زالت العلاقات بين السلطنة والحاكم العثمانى على ساحل البحر الأحمر عدا ما أشار إليه الرحالة أوليا شلبى وهى كلمة متشعبة الجذور لكنها تشير إلى وجود تلك العلاقات .

ويبدو أن كل هذه المشكلات ناجمة عن حقيقة عامة وهى التى تتمثل فى إغفال الأحد بدراسة وصفية للمجتمع وذلك عند دراسة تاريخ السودان ، بوصفه فى دار الإسلام وهذا يحتم إجراء البحث بالكشف عن العلاقة بين أقاليم دار الإسلام فى

هذا الجانب من أفريقيا . وقد كانت أقاليم السودان تشغل مركزاً استراتيجياً له أهميته البالغة فى التجارة والقوافل والهجرات التى تمتد طرقها إلى مناطق بعيدة من داخل القارة ، ومن المعروف أن دار الإسلام تمتد من ساحل شرق أفريقيا وتمتد إلى الداخل حتى هضبة البحيرات وقد تمتد إلى الغرب وإلى الشمال وتحتل جانباً من الأراضى التى تتكون منها الحبشة الآن ويقدرها البعض أنها كانت تضم المنطقة الواقعة جنوب أديس أبابا .

وكما أشرنا أعلاه فإننا نجد أن موضوع أصول البيت السلطانى مادة النقاش والجدال فى الثلاثينات من هذا القرن وبصورة خاصة على صفحات مجلة السودان فى رسائل ومدونات التى تصدر بالإنكليزية فى الخرطوم وقد توقفت هذه النقاشات بسبب تقاعد الأطراف المعنية من خدمة إدارة السودان . وقد فشلت هذه المحاولات ووصلت إلى طريق مسدود وقدر لى أن أواصل البحث فى هذه المادة ، وقد توفر لى ذلك بعد أن عملت بمعهد الدراسات السودانية (الأفريقية فيما بعد) بجامعة القاهرة حيث أمضيت ستة عشر عاماً .

وعملت باهتمام فى مراجعة النشاطات السابقة . وكان هدفى أن أجمع المعلومات وأضعها للباحثين ، دون أن أسمح لنفسى بإبداء رأى أفرضه ، لأن ذلك ليس فى قدرتى عمله . لأن عرض الحقائق التى أتحقق من صحتها لحد ما كافية للكشف عن الوضع . فلذلك لا أتحمل رأياً ولا أستطيع أن أعدل ذلك الرأى أو أتخلى عنه .

وقد كان على أن اتخذ منهجاً للبحث ، وبعد مقارنات متباينة ، وجدت أن المشكلة لا تحل إلا بدراسة تنازلية وأن تمتد تلك الدراسة إلى مناطق أقاليم دار الإسلام المختلفة . وقد تكون إقامة سلطنة فى جنوب غرب الأرتيريا كما شهدها

داود رويني فى العشرينات من القرن السادس عشر الميلادى نقطة البداية بالمسيرة التنازلية . ووجدنا أن نقوش دار الفنج الموجودة على النحاس الذى نشـــره روبنسون[1] لها مغزى هام حيث يغطى الفترة السابقة لقيام السلطنة فى الأرتيريا ، وتعتبر هذه الفترة هى الجسر الذى يربط بين طرفى المشكلة .

وعلى هذا أخذنا بإعداد جدول مرحلى يبدأ من منتصف القرن السابع الميلادى على الوجه التالى .

المرحلة الأولى من عام ٦١٥/٦٥٠ إلى عام ٩٥٠:

تسمية أ من ٦١٥/٦٦٠ إلى ٧٠٠ م
» ب من ٧٠١ إلى ٧٥١ سقوط الدولة الأموية
» جـ من ٧٥١ إلى ٨٠٠
» د من ٨٠١ إلى ٨٥٠
» هـ من ٨٥١ إلى ٩٠٠
» و من ٩٠١ إلى ٩٥٠

المرحلة الثانيـة من ٩٥١ إلى ١٢٥٠ :

قسيمة أ من ٩٥١ — ١٠٠٠
» ب من ١٠٠١ إلى ١٠٥٠
» جـ من ١٠٥١ إلى ١١٠٠
» د من ١١٠١ إلى ١١٥٠
» هـ من ١١٥١ إلى ١٢٠٠
» و من ١٢٠١ إلى ١٢٥٠ م

(1) A. E. R., The Fung Drum or nehas, Sudan Notes & Records Vol. IV P. 211—212.

الرحلة الثالثة من ١٢٥١ إلى ١٥٥٠ :

قسيمة	أ	من ١٢٥١ إلى ١٣٠٠
«	ب	من ١٣٠١ إلى ١٣٥٠
«	حـ	من ١٣٥١ إلى ١٤٠٠
«	د	من ١٤٠١ إلى ١٤٥٠
«	هـ	من ١٤٥١ إلى ١٥٠٠
«	و	من ١٥٠١ إلى ١٥٥٠

الرحلة الرابعة من ١٥٥١ إلى ١٨٢١ :

قسيمة	أ	من ١٥٥١ إلى ١٦٠٠
«	ب	من ١٦٠١ إلى ١٦٥٠
«	حـ	من ١٦٥١ إلى ١٧٠٠
«	د	من ١٧٠١ إلى ١٧٥٠
«	هـ	من ١٧٥١ إلى ١٨٠٠
«	و	من ١٨٠١ إلى ١٨٢١

وليس فى هذا التقسيم ما يشير إلى تكوين وحدات تاريخية غير مرتبطة بل بالعكس هى تصور تاريخى مستمر تضم أحداثاً مستمرة .

ووجدنا بعد القيام بالعملية التنازلية لجمع المعلومات المتوفرة ، أن ضرورة البحث تقتضى عرض الوقائع التاريخية وغيرها فى تناسق تاريخى . فإذا افترضنا أن السلطان عمارة وهو السلطان الفنجى الذى انتقل على يديه كرسى الحكم إلى سنار فى نهاية الخمسة والعشرين عاماً الأولى من القرن السادس عشر ووجدنا أن والده السلطان عدلان كان متولياً العرش قبله ، فأخذنا بأن السلطان عمارة قد تولى الحكم فى نهاية القرن الخامس عشر ، وباحتمال ولاية والده السلطان فى النصف الثانى من القرن

الخامس عشر. وافترضنا عشرين عاماً لحكم الملاطين قبل ذلك، فخلال الفترة بين عمارة وجده الكبير، نستطيع أن نقول أن الجد الكبير قد جاء من لول في أول القرن الرابع عشر أو آخر الثالث عشر.

وهذا التاريخ يتفق اتفاقا تاما مع الحقيقة التي تسندها المصادر التاريخية أن السلطنة قد امتدت سيطرتها على اقليمي البطانة والنيل الأزرق وذلك على أثر خروج ملك علوه المسيحي في هجرته إلى الغرب حيث أتخذ من بلدة « كوشة الواغلة » وقد بقي هنالك بعض الوقت ولا يعلم مصيره. ويعتقد أنه قد استمر في سفرته نحو الغرب، ويحتمل وصوله إلى الأقليم المعروف الآن بسيراليون حيث توجد هنالك جالية من المهجرين من اقليم الجزيرة السودانية وهم الكسو Kasu ويعرفون الآن بالكسى Kissi (٨٢)، ويجدر بالباحثين الاهتمام بهذه الهجرات وهي التي قام بها:-

(أولا) هجرة ملك مرو (في القرن الثالث الميلادي).

(ثانياً) هجرة قبائل الدجون من البطانة إلى الغرب (في القرن الرابع الميلادي).

(ثالثا) هجرة ملك علوة إلى كردفان والغرب في القرن الثالث عشر.

(رابعاً) هجرة قبائل سودانية في مقدمتها الكسو Kasu من الجزيرة إلى الغرب وتحديد تواريخها.

* * *

---

(١) نشر الدكتور إبر إلبر Eber Elber النمسوى مقالا عن مشاهداته في سيراليون وأشار إلى هذه المجموعة السودانية الـ Kissi ولم يشر بطبيعة الحال إلى الوطن الأول لهذه القبيلة - وقد حققنا ما جاء في مقاله ومقارنته مع ما ذكره بن سليم الأسواني. وقد اتصل به المؤلف فعلم أنه قد كتب عددا من المقالات في دوريات الدول الاسكندينافية والدكتور إلبر هو طبيب نمسوي كان يعمل في غرب أفريقيا في دراسة التطور بين القردة. وقد توفي في الأربعينات.

ويجدر بنا قبل اعطاء صورة عن تطور الهجرات الفنجية في الفترة من منتصف القرن السابع حتى القرن الثالث عشر، أن نوضح بعض المصطلحات الخاصة بالفنج. فلفظ الفنج الذي يطلق على هذه السلطنة، نجد أن صورته الصوتية بكسر الفاء وسكون النون وفتح الجيم (فِنْجَ) وهو اللفظ الذي ينطق به في الوطن الأول القبيلة التي تسكن وادي شميل في عمان، ولفظ «دونقس» وهو لفظ أثيوبي يتكون من دو وهي في الأصل Djan ومعناها عظيم أو كبير. ولفظ نقس Neqa ومعناها النجاشي. ومعنى هذه الكلمة في مجموعها النجاشي الكبير.

وفي اتخاذ هذا هذا اللقب ما يشير ضمناً إلى سابق علاقة بين الفنج والحبشة، ولفظ مك وهو اللفظ المحلي في السودان الذي يطلق على مستوى معين من الزعامات وهو يعني السلطان أو الملك، وأصل هذا اللقب يرجع إلى شرق افريقيا حيث يستخدم كلقب للزعيم وبخاص في الصورة الصوتية فيقال Mak أو Mku أما جماعة المج وصحتها الهامج والمج نقل عن المصادر الاجنبية ومعناه التوحش أو البدائي، ولفظ الهامج مازالت تعرف به جماعات في بربر ودنقلة.

وهنالك أيضا جماعة الأونساب، وتأتي هذه المجموعة في الرتبة الثانية بعد بيت الفنج حيث تحتم التقاليد والعادات في السلطنة أن تكون زوجة السلطان المنتخب من هذه الجماعة وأن هذه الزوجة لابد لها من مشاركة زوجها في خلوته التي يجب أن يمر بها قبل ولايته للحكم. وهذه فيما يبدو لنا نقطة هامة جديرة بالبحث لأنها فيما يبدو قد ورثتها السلطنة في ظروف محلية في موطنها الجديد أي في الارتيريا ولاشك كان في ذلك النصيب الأكبر للمصاهرة التي جعلت من الاونساب وهم خؤولة السلطان حتما له. وتأتي بعد هؤلاء الهامج (الذين يعرفون في كتب المؤرخين بالمج) وقد كان وزراء السلطنة من هذا البيت أي بيت الهامج، ويعرف الانساب أيضا

بيت عين الشمس ، ولا شك فى أن ضرورة الاعتكاف للسلطان المنتخب وزوجته من عين شمس تقليد مأخوذ عن مصر القديمة .

وننتقل الآن إلى قضية الفنج ومراحل تطور حكمهم منذ القرن السابع الميلادى ؛ أى أن يعود البحث إلى السير فى ترتيبه التاريخى بعد أن تمت عملية البحث التنازلى وتركز اهتمامنا فى هذا البحث بمرحلة دخول الفنج إلى أفريقيا وتطورهم قبل القرن الرابع عشر .

هاجرت جماعة من إقليم عمان مع مجموعات أخرى من العرب إلى ساحل شرق أفريقيا ، وذلك بعد ظهور الدعوة إلى الإسلام ، طلبا للرزق . وقد ورد ذكر هذه الجماعات فى مخطوطة تعرف بكتاب الزنوج نشرها لشيرولى فى كتابه صوماليا[1]. فقد ورد فى المخطوطة (صفحة ٢٣٦) « وكان أهلها من طيوى وفنج . فمن فنج التى بعمان وواسين عربية أصلية ، واسين اعنى حزن هو معناه ، لأن أهل فنج كانوا يجيئون الناس هنالك . . . . وكانوا يجيئون بالسفائن واللواشى غالبهم وبالبر ، كانوا يجيئون لأجل الحرب من سواكن وبربره ... » والمقصود بالحرب هنا ممارسة القرصنة فى الجانب الأفريقى ـ خليج عدن والبحر الأحمر . وتغير الموقف بعد وصوله قوات الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، الذى تولى الخلافة (من عام ٦٦٤/٧٠٥م) ، الى ساحل الزنج حيث اتخذت قاعدة لها فى جزيرة لامو .

---

(1) Cerulli, Enrics, Somalia. Vol. I., Roma 1957, Page 233/251 and Itabai Transtalion p. 253/325.

(2) Shaibu Faraji Bén Hamed al Bakariy al Lamuy: Khabar al Lamu, a Chronichle of Lamu, transtiterated and Transtated from the Surahili script and annoted of William Hichens, in Banu Studies Journal vol. I deel XII Maeh 1938 p. 8 ff.

وقد كان اهتمام الامويين بعد نزولهم إلى ارخبيل اللامو ، موجها إلى النشاط التجارى ، فأنشاوا عددا كبيرا من الموانى التجارية على الساحل الافريقى الشرقى ، وشجعوا التجارة بين الشاطئ وداخل القارة(١) ويبدو أنه قد حدث فى فترة سيطرة الامويين ، على ساحل شرق إفريقيا من مركز رياستهم فى اللامو، قد حدث مصاهرة بين جماعة فنج والامويين فى اللامو، وقد يؤيد ذلك ما جاء فى مخطوطة كاتب الشونة (نسخة القاهرة) حيث يقول « ما جاء فى ذكر نسب الفنج قيل أنهم من بنى أمية لما انتزع منهم الملك وهربتهم (كذا) بنو العباس جاء منهم رجلان إلى هذا المحل وأستولدوا النساء وأن الفنج من نسلهم وقيل غير ذلك » . (٢) أما القول بأن الأمويين قد دخلوا إلى السودان بعد سقوط دولتهم عن طريق الشمال ، وجاء فى فى هذه الرواية أن ابنى مروان بن محمد ، آخر الامويين وهما عبد الله وعبيد الله هربا فى نحو الفين من اتباعهما لبلاد النوبة سنة ٧٥٠م ، ولم يسمح لهما ملك النوبة بالبقاء فى بلاده بعد أن دار بينهما وبين النوبة نقاش حاد . وتقول الرواية انهما عادا إلى الحجاز عن طريق باضع ... غير أن هذه الرواية من نسج الخيال لأنه لا يوجد ما يدعمها .

وقد جاء الوقت الذى يتحتم علينا فيه العمل على تنقية التاريخ القومى من هذه الاساطير . وعلى أى فقد بقى الفنج فى اللامو مع الامويين حتى نهاية دولتهم فى عام ٧٥٠ م . ولم تتوفر لدينا أية معلومات مسيرة الاحداث بين نهاية دولة الامويين حتى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر . وقل ما هنالك الذى نستطيع أن نفترض بصحته أو الاخذ به وهو نقوش نقارة الدار الفنجية التى نقش عليها .

---

(1) Stigand, C.H., the Land of Zing, London 1913 p. 113 ff, See also Prins, A.H.J. the Coastal Tribes of the North Eastern Banta London 1952.

(٢) مخطوطة كاتب الشونة — لأحمد بن الحاج أبو على تحقيق الشاطر بصيلى عبد الجليل القاهرة ١٩٦١ ص ٤ .

نقارة الدار نقارة السلطان

عمارة بن السلطان عجلان

جدهم الكبير الجاه (١) من نول

نصره الله السلطان بادي من السلطان نول (٢)

وقد حدثت تغييرات هامة بعد نهاية الدولة الأموية وقيام العباسيين فقد اشتدت التجارة فى النوابل ، واتسعت رقعة النشاط الاقتصادى فى مختلف بقاع القارة الأفريقية حيث دخل المغامرون من العرب إلى داخل القارة وعملوا فى التجارة والمعدن واسسوا المدن فى النقاط الاستراتيجية . وجاءت أيضا جماعات من النبهانيين والازروعيين وأسسوا بيوتا تجارية أو بمعنى أدق نقابات . وأسسوا المدن والوانى وادخلوا تعديلات كبيرة على المجتمع . وعملوا على نشر الاسلام ، الأمر الذى أوكل إلى الفقهاء بطرق ميسرة وأنشأوا دور التعليم والمزارع لتعليم السكان المحليين الاخذ بهما وأدخال الزراعات الجديدة .

ويهمنا التعرف على مسيرة النفج من موطنهم فى اللامو بعد سقط الدولة الأموية وقد ارتبطوا بها ارتباطا وثيقا . فهناك احتمال أو افتراض خروجهم من اللامو إلى الشمال عن طريق البحر . وعلى هذا الفرض اخذنا بتقسيم الزمن فترات قد تبلغ الثلاثة قرون من الزمان . ونستطيع أن نتعقب هذه الرحلة بالبحث عن مختلف المسالك . فيحتمل أنهم قد تنقلوا عبر البلاد الشمالية أى الصومال واقليم سلطنات الطراز الإسلامى . ويحتمل أيضا أنهم قد انتقلوا عن طريق البحر الأحمر إلى أحد موانئ فى الحبشه والارتيريا

---

(١) الجاه = الذى جاء .

(2) A.E.R. the Fung Drum or Nehas, Sudan Notes & Records vol. IV p. 211—212.

أولهما ميناء عدى والثانيه ميناء مدر وبين هذا الافتراض على وجود مقابر صندوقية (١) كثيرة العدد وهى المقابر التى اعتاد أن يستخدمها الفنج لدفن موتاهم من السلاطين ومن فى درجتهم . وتمتد هذه المقابر الصندوقية حتى خور بركة فى الارتيريا .

وتواجه الباحث أيضاً مشكلات تطرح نفسها لتحديد العلاقة بين السلطنات المحلية التى كانت قائمة وبين الفنج أو الفنج قبل تكوين سلطانهم فقد كانت هناك سلطنة العجون التى حكمت لفترة طويله وامتدت سيطرتها حتى عيناب فى الشمال . ونعلم أنها كانت محكومة بسلاطين من النساء منها الملكة صديقه ، وتعلم أيضا أخت الملك مكنز السماة قميوه دركت الوصاية على ابنه . .

ولا شك فى أن البحث عن هذه السلطنة الفنجية فى مرحلة تكوينها موضوع له أهميته البالغة فهى أيضاً تكشف عن نشاطات العرب والمسلمين فى هذه الجهة من أفريقيا .

---

(1) Kammerer, A., La mer Rouge, L'abyssinie et l'arabie aux XVII Seconde Partie XVII p. 315, p. 300—36.

مراجع البحث ومصادره

ابن بطوطه : رحلة

المسعودى : مروج الذهب

كتاب الزنوج بكتاب صوماليا لمؤلفة تشرولى طبع روما الجزء الأول

أحمد بن الحاج أبو على : مخطوطه كانت الشونه تحقيق الشاطر بصيلى عن اكليل القاهره سنة ١٥٦١

Arkell, A.J., Cambay and Bead Trade : Antiquity X, 1936.

Axelson, E., South East Africa, 1940.

Badger, E., Historv of the Immams and Seyyids of Oman, 1871.

Freeman-Grenville, G.S.P., The Medieval History of the Coast of Tanganyika, 1962.

Kamerer, A., Le Mer Rouge, l'Abyssinie et l'Arabie, Caire.

Prinns, A.H.J., The Coastal Tribes of the North Eastern Bantu, 1952.

Sergeant, R.B., The Portuguese off the South Arabian Coast, 1963.

Shaibu Faraji bin Hamed Al Bakariy al Lamy, Khabar al Lamu, translation by Hichens, Bantu Studies Journal, XII, No. I, 1938.

Stigand, C.H., The Land of Zing, 1933.

Strandes, J. The Portuguese Period in East Africa.

Sheikhu Farajī bin Hamad Al Bakarīy al Lamy.
Khabar al Lamu, translation by Stephens, Bantu
Studies Journal XII, No. 1, 1938.

Shepard, C.H., The Land of Zang, 1938.

Shuados, J. The Portuguese Period in East Africa,